الدكتور نجيب الكيلاني

محاكمة الأسود العنسي

مسرحية من ثلاثة فصول

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

شخصيات المسرحية

ـ الأسود العنسي:

يتميز بالصفات التي وردت في كتب التاريخ من حيث لونه الأسود والخمار الذي يضعه على وجهه أحياناً، ونظراته المخيفة الجشعة، ومن أسمائه عبهلة.

ـ هارون اليهودي وولده يعقوب.

ـ أشهب بن ذؤيب:

خادم الأسود ـ قصير ـ ذو كرش ولحية قصيرة.

ـ سحيق وشقيق:

شيطانان يظهران دائماً في زي غريب ويلبسان طرطورين على رأسيهما ويتميزان بخفة الحركة، وعلى وجهيهما «مكياج» يميز الواحد عن الآخر، والأسود يسميهما ملكين وأحياناً شيطانين.

ـ فيروز وداذويه:

من الفرس ومن فئة الطبقة الحاكمة قبل مجيء الأسود وعليهما سيما الوقار وهما مسلمان يخفيان إسلامهما تقية حتى لا يبطش بهما الأسود.

- قيس:

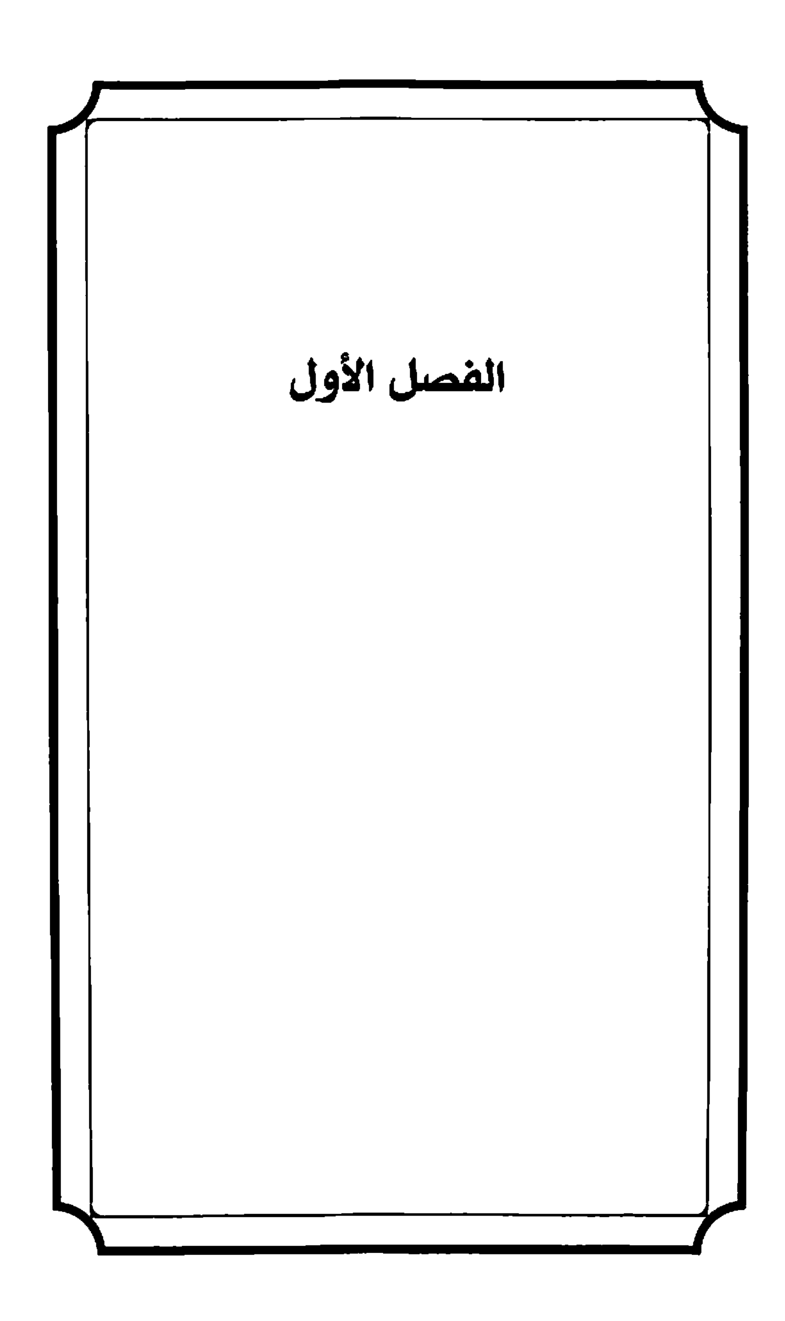
قائد الجند عند الأسود يتميز بقوة البنية.

- مقلقل:

ابن الأسود العنسي، شاب نحيف ضعيف الشخصية.

- حراس وجنود، وحشم وخدم.... إلخ.





الفصل الأول

المشهد الأول

[خيمة وسجاجيد فاخرة، وأدوات منزلية مختلفة من الذهب والفضة، وسيوف معلقة، وقناني خمر وكؤوس وطعام من اللحم والثريد وفواكه].

[يقف عبهلة وحده وفي يده كأس من الخمر - يبدو فارع الطول، قوي الجسم، يلبس العمامة والخمار - يقذف بالكأس دفعة واحدة في فمه ويهتز ويقول بصوت أجش:]

الأسود العنسي: بشراكم يا أهل اليمن..
لطالما عانيتم من المآسي والمحن
الأجباش يثيرون الفتن وفارس تستلب
منكم الوطن.

[يملأ الكأس مرة أخرى - ويروح ويجيء ويطلق البخور] إن محمدَ بن عبد الله يقترب من القبر ولم يعد هناك مجال للإبطاء أو الصبر وصنعاء ليست أقل من مكة في القدر، إني أرى ببصيرتي أعلام النصر.

[يجيئه صوت من بعيد]

أبشر يا عبهلة يا ذا الخمار

أنت رحمان صنعاء

الوحي يأتيك من السماء

[يصغ السمع]

الأسود: حتى ولو لم يأت الوحي.. فأنا نبي.. إني مؤمن أن النبوة إرادة وقوة. أردت أن أكون نبياً فكنت».

الصوت: (الملاك شقيق) حذار من الغرور، فلولاي ما صرت شيئاً، النبوة تمتد بخيط إلى السماء، أما الالتصاق بالأرض فهو للفلاسفة وللأدعياء.

صوت آخر: (الملاك سحيق) أنا ورفيقي علمناك الحكمة. وخططنا لك مسيرة النبوة؟ أتنكر ذلك؟

الأسود: تربيت في أحضان الكهنة من قديم يا (شقيق) وذكائي علمني كيف أقرأ الغيب يا سحيق وشنفت الآذان بسجع الكهان.. يا شيطانيّ الحبيبين.

الصوتان معاً: ونحن الذين أوحينا إليك بحلو الكلام.

[يقهقه الأسود]

الأسود: عبهلة يعرف الوفاء، ولا يتنكر للأحباء فأنتما صدى نفسي، وضوت ضميري لَكَم أحبك يا شيطاني العظيم شقيق وأنت يا سحيق.

الصوتان معاً: بل شيطاناك المقيمان المخلصان.... استمع.

[فترة صمت...]

[شقيق وسحيق يرقصان]

[يسمع عبهلة أناشيد جميلة تملأ الآفاق تخالطها موسيقى دينية تتوافق مع الكلمات التي ينشدها القادمون:]

إنا أتينا عبهلة

يشدنا الشوق والوله

يا ذا الخمار جئتنا بآيات المنزلة

أنت حامي ذمارنا

وأنت أسمى منزلة

وأنت فينا منزه

لا ريب أو مساءلة

أهلاً بربان الهدى

أهلاً بحادي القافلة

[يزدحم المكان - يتغنى الجميع، يقودهم رجل حسن الصوت مع موسيقى دينية (مثل الموسيقى الدينية أو الحربية ذات الطبول) يستمع الأسود إلى الغناء في طرب، ويتطوح في سعادة ونشوة وهو يستمع إليهم، ويعلو صوت الطبول وتسود المكان فورة من حماس. ويعود غناء المجموعة مرة أخرى:]

إن قصدنا عبهلة

قد عطر الله موئله

جباهنا تخرّ له

حامي الحمى في الزلزله

حيث الزحوف المجلجله

لقد وردنا جداوله

نروي النفوس القاحلة

لبيك لبيك عبهلة

لبيك لبيك عبهلة

الأسود: (يخطب فيهم)

يا أبناء مذحج، وأشبال البوادي

أوحى إليّ الملك بأن صنعاء لي ولأجنادي

وقال لي الملك إذا تصدى لك الأعادي

فاجعل جيشك يضرب فوق الأعناق

ولا تعفو عن أحد على الإطلاق

لقد أحللت لكم الغنائم والنساء

فاملأوا الآفاق بالأناشيد والغناء

واسكنوا القصور

وتنعموا في أسرّة الحرير

فالجنة تبدأ من حدائق صنعاء

وترقى مع الشهداء في السماء

[يشدو الجميع مرة أخرى مقاطع من النشيد السابق وقد ازداد حماساً]

إنا أتينا لعبهلة

يشدنا الشوق والوله

[بعد أن ينتهي الإنشاد، يشق الحشد رجل قميء قصير ذو لحية طويلة مدببة، ويتحدث بلهجة معروفة عن اليهود وبمكر ودهاء].

مقلقل (ابن الأسود): هذا اليهودي يصر على لقائك يا أبتي.

هارون اليهودي: يا عبهلة... يا ذا الخمار... يا نبي هذا

الزمان.. أشهد أنك رسول الله... خبرك جاء في بطون الأسفار، وتحدثت عنه الأخبار.. فأنت...

الأسود (قاطعاً): من أنت؟؟

هارون: رجل من يهود جاء من بعيد يعلن إيمانه.

الأسود: لكن يهود لها كتابها ونبيها ولم يأتني أحد منهم، ولا من النصارى.

هارون: اليهود لا يتعجلون الأمور، وقد جئت أحمل إليك البشرى.

[عبهلة يهز رأسه في حيرة، ويقيس الرجل بنظراته ثم يلتفت يمنة ويسرة، ويقول:]

الأسود: إن صح ما تقول فقد بلغت ما لم يبلغه محمد معكم.

هارون: إننا أهل كتاب، وليس من السهل أن نترك ديننا وتراثنا عبثاً ولهواً.

الأسود: ذلك ما يحيرني.

مقلقل: شيء محير فعلاً يا أبتي.

هارون: سل من يتنزل عليك بالوحي.

الأسود: بالتأكيد....

[يقترب اليهودي، وينحني ويقبل الأرض تحت قدميّ الأسود ثم يجر ولده الذي يتوارى خلفه ويقول له]:

هارون: تقدم يا يعقوب أنت في حضرة النبي ذي الخمار

[يفعل الولد مثلما يأمره أبوه]

الأسود: محمد لعنكم في قرآنه

هارون: وألصق بنا كل رذيلة

الأسود: كنتم تغدرون دائماً

هارون: أتعتقد ذلك فعلاً؟؟

الأسود: أصبحنا في زمن اختلط فيه الحق بالباطل

هارون: يا إلهي.. هذا كلام أنبياء.. وأفكار حكماء

الأسود: في زمن كهذا لا يفصل بين الناس إلا السيف [ويمسك الأسود سيفه بعصبية ويرتجف هارون، وترتعش مفاصله].

هارون: صدقت.. صدقت

الأسود: ومنطق السنان أصدق من قوة البيان

هارون: هو ذاك يا نبي الله

الأسود: لقد شبعنا كلاماً وأحلاماً

هارون: إن يهود يؤمنون بذلك، ولهذا أراق محمد دمهم أنهاراً، ودمر حصونهم، وبددهم بدداً ولم يرحم امرأة ولا ولداً، وأحكم الحصار حولهم، علمتنا التجارب يا نبي الله أن القوة هي الحق الظاهر على هذه الأرض... فالرحمة ضعف.. والعفو هزيمة ونحن معك على العهد يا ذا الخمار... فكن معنا ولا تكن علينا.

الأسود: نحن نمنعكم من محمد لو كنتم صادقين في إيمانكم بي

هارون: بوركت من نبي

الأسود: ونعيدكم إلى دياركم التي طردكم منها

هارون: ذلك سمة من سمات النبوة ومعنى سامٍ من معاني الأخوة

مقلقل: كلامكم جميل، لكن فعلكم مثير للريب

[ثم يصرخ الأسود]

الأسود: ويا ويح من يغدر أو يخون.
فلأُسْقِيَنَّهُ كأسَ العذاب والمنون

هارون: لبيك، لبيك، عبهلة
جباهنا تخر له

ثم يلتفت إلى الجموع قائلاً: شاركونا الابتهال والترانيم يا جنود. إن ذا الخمار قد ورد ذكره في التلمود اسمه مكتوب بأحرف من لؤلؤ منضود.

[يخرج اليهودي وولده يعقوب]

الأسود: (وقد انطلق البخور من حوله بشتى الألوان)

استمعوا..
الوحي جاء
يقول لي الملك...
صنعاء تنتظر
مجيء ذي الخمار
فَلْتَسْرِجُوا الجياد
وحطموا القيود والأصفاد
نحن القضاء لا يرد
نحن الجحيم المتقد

[يلوح بسيفه ـ يطبق الظلام ـ نسمع تسجيلاً لمعارك وصيحات ـ وآلام ـ واستغاثات ـ وقرقعة سيوف ثم يظهر عبهلة (الأسود العنسي)، وهو يخلع عنه السيف والدرع وغيرهما. ويتنهد في تعب، ثم يهتف بخادمه]:

الأسود: يا أشهبَ بن ذؤيب.. أيها العبدُ الملعون

أشهب الخادم: (يأتي مهرولاً) وينحني ويرفع يديه

الخادم: سيدي ومولاي

الأسود: قل لي يا رسول الله.. يا نبي الله...

أشهب (الخادم): أمرك يا نبي الله... فأنت سيد الدنيا..

الأسود: كلمة نبي لها مذاقٌ شهيٌّ لنفسي..

أشهب: صدقت

الأسود: أرأيت كيف ركعت صنعاء تحت أقدامي وعفرت جبينها بالتراب.. قتلت مليككم «شهر بن باذان».. وأخذت زوجه الجميلة لي وحدي... إنها تساوي نصف ملكي هل رأيت آزاد يا أشهب؟

[يصمت قليلاً ثم يقول]:

الأسود: لقد اخترتُ قصر غمدان قصراً لملكي.. أعدوا لي تاجاً مُحَلًّى بالجواهر. واصنعوا لي كرسياً موشى بالذهب. وضعوا الزيت في القناديل اجعلوها تضيء ليل نهار وأطلقوا البخور..

[يجلس عبهلة بعد أن كان واقفاً، يدخل عليه نخبة من عِلْيَةِ القوم في صنعاء، يرتعش عبهلة، فيتهامس رجال من حاشيته قائلين:]

الأشهب: جاءه الوحي

[ثم يرفع صوته قائلاً:]

الأشهب بن ذؤيب: اصمتوا... إن الآيات تتنزل عليه

[يفتح الأسود عينيه ثم يقول]

الأسود: جاءني الوحي يقول:

عضوا على ما أقول بالقواطع
واقدموا بين ساجد وراكع
هذه جنتي قد امتلأت بأشتات الروائع
عليها الظل والزهر والحمائم السواكع
والخارجون عن ملتي وشريعتي سيسقون السموم النواقع
وينهلون من ورد الفجائع والفظائع

ذلك أن شريعتي أسمى الشرائع.

[رجل من أقصى الجميع يصيح بأعلى صوته]:

الرجل: ما هي شريعتك بالتحديد يا ذا الخمار

الأسود: (يمد بصره) أين أنت؟؟

[لا يجيب أحد]

الأسود: تخاف إذن مني.. أنت مؤمن بحق... وقد أجبت على نفسك

[تحدث ضجة.. أنصار الأسود يجرّون رجلاً عجوزاً متهالكاً ويقول أحدهم]

رجل: هذا هو صاحب السؤال.. حاول الهرب فأمسكنا به..

الأسود: لا بأس.. ادن مني أيها الشيخ الخرف.. ما أكثر النصوص والكلمات أيها الشيخ!!

وهل الشرائع إلا قيود تغلل من إرادة الناس؟؟ إن شريعتي هي الحرية، وشريعتي كتبتها على الحيطان.

[ثم يلتفت الأسود إلى الجمع قائلاً:]

الأسود: إن شريعتي هي:

لا زكاة ولا صيام

والطعام والشراب والغنائم قسمة بين الأنام

ولكم من النساء عشراً بالكمال والتمام

ولكم السبايا والإماء والمُدام

هكذا أوحى إلي الملك العلام.

الأشهب بن ذؤيب: (في ضراعة) زدنا يا نبي الله

الأسود: النبوة والملك توأمان

الأشهب: صدقت

الأسود: أنا الأقوى.. إذاً أنا حي

الأشهب: يقولون يا نبي الله أن القوة لا تدوم

الأسود: أنا لا أفكر في ذلك يا ابن ذؤيب الذي يعنيني هو أن أستخدم قوتي وأحقق ذاتي..

الموت هو زوال القوة ولو بقيت فيك أنفاس الناس يموتون لكنهم لا بد أن يستمتعوا بالقوة والسلطان قبل فوات الأوان.

الأشهب: أليست الرحمة قوة يا نبي الله

الأسود: التاريخ يصيغه الأقوياء، لا الرحماء يا ابن ذؤيب

الأشهب: صدقت

الأسود: لقد عشت في «كهف خبّان» سنوات أترنم بسجع الكهان، وأهتف بالحكمة وأقدم المعجزات تلو المعجزات، وكان الناس ينبهرون بقولي ثم ماذا؟؟ لا شيء سوى الإعجاب والثناء.. ووقفت سنوات على جبال صنعاء أدعو الناس إلى دعوتي فلا مجيب، وعندما امتشقت سيفي دانت لي الأرض ومن عليها، وطأطأت لي الجباه.

الأشهب: صدقت: وما هي معجزاتك الجديدة يا نبي الله؟!

مقلقل: أبي ملأ الأرض معجزات

الأسود: يا ابن ذؤيب.. ألا تعلم أن محمداً فتح مكة بعشرة آلاف رجل؟؟

الأشهب: أعرف

الأسود: أما أنا فقد فتحت صنعاء بسبعمائة رجل.. أنا لا أقول إن الملائكة كانت معي، فهذا أمر مؤكد، لكني الأقوى والأعظم.. أليست هذه معجزة؟؟ ثم ألا تذكرون ما أصاب المسلمين من هزيمة في

أحد.. أما أنا فلم أنهزم قط.. وماذا تكون المعجزة غير ذلك؟؟

الأشهب: صدقت..

[يغلق العنسي عينيه، ويطوح رأسه، وكأنه غائب عن الجموع ويهتف بصوت مغاير]:

الأسود: عبدي عبدي

لقد خلقتك لي وحدي

وهبتك القصور والحور

وملأت خزائنك بالخمور والعطور

افعلْ ما يحلو لك

المجد ـ كل المجد ـ لك

فأنت ذو الخمار

الملك الجبار

كل ما نطق به لسانك فهو مني

واضرب بسيفك كل كافر متجني

[ثم يلتفت إلى الشيخ العجوز ويقول:]

الأسود: سوف نقطعُ رقبةَ هذا المارق

العجوز: لماذا؟ لقد جئت أشكو إليك

الأسود: مِمَ؟؟

العجوز: قتلتم ولدي دون جريرة

الأسود: ذو الخمار لا يسئل عما يفعل

العجوز: كان مظلوماً

الأسود: لا بد أنه رفض الإيمانَ بي

العجوز: قتلوه قبل أن يسألوه وسلبوه وأخذوا زوجه

الأسود: كان كافراً. . وأتاني الوحي بذلك

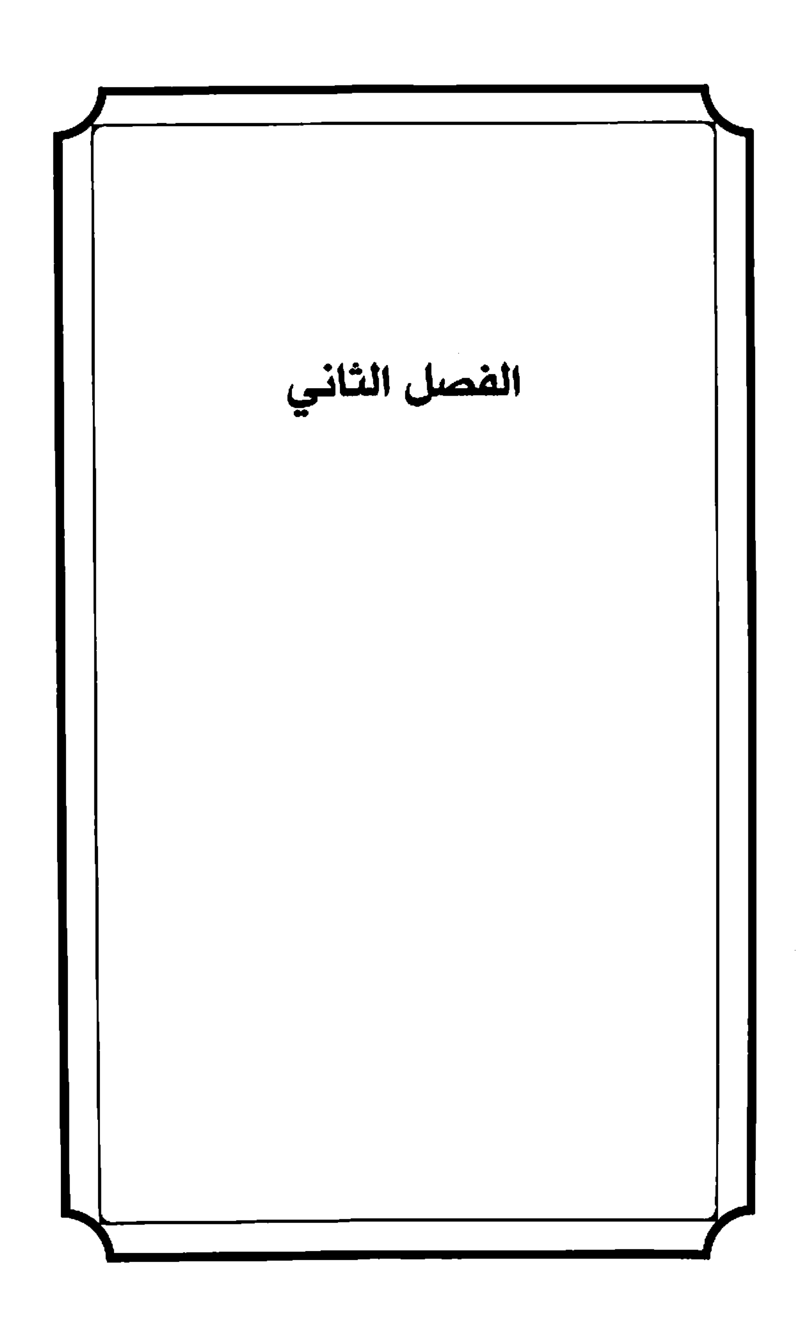
العجوز: أبداً

الأسود: أتُكَذِّبُ نبي الله الذي يعرف ما تُخْفِي الصدور؟

[ثم يمسك عبهلة بسيفه وَيُهمُّ بضرب عنق الرجل دون أن يظهر مشهد القتل وضج الجميع بالهتاف والنشوة].

الأسود: انصرفوا، انصرفوا فقد حان وقتُ الخلوة والوحي.





الفصل الثاني

المشهد الأول

[يبقى وحده.. يملأ الكأس ويشرب.. يرقص والكأس في يده ويغني]

املأ الكأس واسقني　　　وعلى الكأس غنني

لا تلمني فإنني　　　لست عنها بمنثني

[يسمع صوتاً يناديه]:

الصوت: عبهلة.. أيها التائهُ في بيداءِ الضلالة.. أنت شيطانٌ يرتدي ثوبَ نبي

عبهلة: امسكوه.. اقتلوه..

بن ذؤيب: أنا لا أرى شيئاً يا نبي الله

الصوت: أيها الكذاب

عبهلة: إخسأ

ابن ذؤيب: ماذا جرى يا ذا الخمار؟

عبهلة: ألا تسمع؟؟

ابن ذؤيب: أنا لا أسمع شيئاً

عبهلة: يقول لي أنهم سوف يقتلونني.. وسأصبح أضحوكةَ العالمين.. وسيعلو شأن محمد وسيأخذون مني آزاد..

ابن ذؤيب: (وهو يأخذ الكأس من يده) لقد أفرطت في الشراب

[يهز رأسه، وتضطرب خطاه وهو يمشي على المسرح وينظر إلى السماء]

الأسود: أوه «يا آزاد» أيتها الملكة الفاتنة.. لقد قتلتُ زوجك الملك «شهر بن باذان» لأحظى بك.. أنت.. فأنت أعظم من صنعاء كلها في عيني.. بل أعظم من المُلك والنبوة التي أعلنتها.. أنت الرابحة يا آزاد بالأمس كنت زوجة ملك، واليوم ستكونين زوجة ملك ونبي..

[ثم يلتفت إلى الأشهب بن ذؤيب]

الأسود: قل لي يا ابنَ ذؤيب.. ما سر تلك المسحة من الحزن التي تنسدل على وجهها الجميل؟؟

وما معنى ذلك الصمت الذي تلوذ به؟ هل كانت تطمح إلى ما هو أعظم من ذلك؟ إن أية امرأة في مملكتي تتمنى أن أشير إليها بأصبعي هكذا فتركع تحت قدمي.

ابن ذؤيب: مولاي.. إنها مبهورة.. هي في حلم.. لم تكن تصدق أن تتزوجها.. لقد كان زوجها الملك شهر رجلاً هزيلاً ضعيفاً أما أنت..

[يقهقه الأسود في سعادة]

الأسود: أتعتقد ذلك؟؟ أخاف أن تكون منافقاً

ابن ذؤيب: حاشا لله النساء يعبدون القوة

الأسود: هذا حق، لكن..

[ويضع يده على وجهه قائلاً]:

الأسود: لكني لستُ وسيماً

ابن ذؤيب: الوسامة تشين الرجال، والقوة والشراسة هي ميزات الرجولة

الأسود: هل هذا صحيح؟؟

ابن ذؤيب: النساء يعشقن الرجل القوي ويأسرهن الذهبُ

والحرير وتسكرهن السلطة

الأسود: (يقهقه) ويضرب بيده الثقيلة على كتف أشهب ويقول.. أيها الملعون، تتحدث كالحكماء.. لا بل كالأنبياء أخاف أن تنقلب علي يوماً أو تدعي النبوة.. بل قد تفكر في خيانتي.

ابن ذؤيب: مولاي..

الأسود: (يقهقه) أعرف أنك أحقر وأتفه من أن تفعل ذلك.

ابن ذؤيب: بالتأكيد يا مولاي، ما أنا إلا عبدك المطيع

الأسود: يا ابن ذؤيب.. إن ورائي كمّاً هائلاً من الجنود.. المشكلةُ أنهم أغبياء.. جَوْعى.. عُراة.. لا يعرفون شيئاً عن النبوة والأنبياء..

أشهب: سوف يتعلمون

الأسود: ليس لدينا الوقتُ للتعليم «إن حياتّنا هي الحرب» إننا نمارس وجودَنا تحت ظلالِ السيوف.

أشهب: (يضحك في خُبْث) كلما ازداد الجهل تفشياً أسلس قياد الناس لنا

الأسود: مؤقتاً. . لكن الخطر يظل كامناً
فكيف يبدو الأمر لو فهموا الحقيقة؟

أشهب: النصر كالخمر ثم إنك تطعمهم وتسقيهم، في أيام الشبع ينسى الناس التمرد. .

الأسود: والخبثاء الذين يشعلون الفتن

أشهب: ليس بيننا خبثاء

الأسود: أو تعتقد أن الذين ارتدّوا عن دين محمد يؤمنون بي فعلاً؟؟

أشهب: ولـم لا؟؟ إن لـديـك الـوحـي، ولـك الـنـصـر، وقدمت لهم العديد من المعجزات التي بهرتهم

الأسود: البعضُ يُسمي معجزاتي شعبذة؟

أشهب: وفرعون فعل ذلك مع نبي يهود موسى. . وتظل الحقيقة قائمة هي أن لك معجزاتك كسائر الأنبياء سـواء صـدقـهـا الـبـعـض أو كـذبـهـا. . هـذا شـأن الرسالات دائماً.

الأسود: تقول إن الوحي يأتيني.

أشهب: هذا واقع

الأسود: فعلاً أنا يُوحى إلي.. إن سحيق وشقيق ملكان يلزمانني.. لكن دعني أعترف لك.. إن نفسي تُوحي إلي بأشياء.. أشياء أؤمن بها وأثق في صحتها حتى ولو خالفت الملكين.. أشعر كثيراً أنني الوحي.. والموحى إليه في نفس الوقت.. لقد أردت أن أكون نبياً وكان يجب أن يحدث إننا نكره أهل الحجاز من قديم، وما كان لهم أن يحوزوا قصب السَّبْق علينا.. ثم كيف يحكمنا الفرس بعد أن أسلموا؟؟ أوه يا أشهب.. إن لي آمالاً كباراً.. وأن..

[يتوقف الأسود عن الحديث حينما يدخل أحد الجنود]

الجندي: يا نبي الله..

الأسود: ماذا وراءك

الجندي: الموكب في انتظارك، ومولاتي الملكة آزاد بعثت بوصيفتها تستعجل قدومك عليها. وقصر «غمدان» قد تم إعداده تماماً. والناس يتشوقون إلى طلعتك البهية.

[يبتسم.. يضع الخمار على وجهه، ويقف.. ويسمع صوت البُوق.. ثم الطبول..]

المشهد الثاني

[كرسي العرش.. أبهة الملك ـ أشهب إلى جوار ذي الخمار ـ الحرس ـ البسط والأضواء ومظاهر البذخ والثراء]

أشهب: بالباب قيس بن عبد يغوث وفيروز الديلمي وداذويه

الأسود: الليلة ـ يا ابن ذؤيب ـ كنت أنعم في الجنة

أشهب: هلِ أخذك الملكان إلى هناك؟

الأسود: (وهو يضرب الكرسي بقبضته)

أيها الأبله.. الجنة هنا.. في قصري.. أنا لا أعول كثيراً على الجنة الموعودة في الآخرة..

(يتنهد في سعادة)

قضيت الليلة مع مليكتي «آزاد» أنا أشك في أن يكون لها مثيلاً في جنة الله.. أو لعلها هربت

منها ونزلت إلى الأرض.. إنني أذوق طعم النعيم لأول مرة في حياتي.. هل تفهم هذه الأشياء يا ابن ذؤيب؟؟

أشهب: كل ما أفهمه هو أنني سعيد لسعادتك.

الأسود: لقد انصلح حالها.. وابتسمت.. أقول لك ابتسمت ذهب الحزن والصمت.. ماذا يعني ذلك يا ابن ذؤيب..

أشهب: رضخت للأمر الواقع

الأسود: (في غضب) لا أريد لها أن تستسلم عجزاً

أشهب: ماذا يا نبي الله؟

الأسود: أريد أن يكون حبها لي صادقاً مبرءاً من الخوف

أشهب: أنت تعرف ما يعتمل في قلبها

الأسود: إلا هذه

أشهب: مولاي.. السؤال يفسد المتعة

الأسود: صدقت.. إنها لي، وتستجيب لمشيئتي ولا ترفض لي طلباً

أشهب: الثلاثة ينتظرون بالباب

الأسود: من؟

أشهب: قيس، وفيروز، وداذويه

الأسود: حسناً... فليدخلوا.. وليقيموا الطقوس والشعائر اللائقة بملك نبي..

[يدخل الثلاثة ـ قيس يلبس الزي العسكري ـ وفيروز وداذويه يلبسان زياً عادياً ـ ينحني ثلاثتهم ويرفعون أيديهم إلى أعلى، ثم يهبطون بها على رؤوسهم ثلاث مرات، وهم منكسون].

قيس: التحيات لصاحب المعجزات، وصانع الانتصارات، والنبي الهُمام، والملكِ المقدام.

الأسود: لقد أجدت القولَ، ببيانك الجزل، يا قائدَ الجيش الفحل.

فيروز الديلمي: أتيناك خاضعين، ولأمرك طائعين.

الأسود: أيها العبدُ الصالح، لقد نلت مني العفوَ والتسامح.

داذويه: أسمى التحية والتقدير للملك الذي انصاعت له المقادير.

الأسود: إن رفع رايات التسليم، هي بداية الفعل الحكيم تفضلوا بالجلوس، فأنتم بالنسبة للناس الرؤوس.

[ثم يلتفت إلى أشهب بن ذؤيب قائلاً]:

الأسود: مر يا ابن ذؤيب بإحضار التحية، لصحابتي ذوي الشأن والأريحية..

[ينحني ويهم بالانصراف ويقول]:

ابن ذؤيب: أمر مولاي

الأسود: (ملتفتاً إلى الثلاثة):

تعلمون أنني حسمت الأمر بحد السيف، دون جور أو حيف فلو سلمتم منذ البداية، لما شقي أحد بفداحة النهاية، والحقيقة أنني لم يكن لي في الأمر حيلة، ولم أجد غير الحرب صيغة بديلة.

فيروز: تلك إرادة الإله.

الأسود (غامزاً): إرادة إلهي أم إله محمد!

فيروز: تعرف يا مولاي أن الله واحد

الأسود: أتسوي بيننا يا فيروز؟؟ كيف هذا وأنا أدعو لدين غير دين محمد؟ لقد أنجزت في شهور ما لم ينجزه محمداً في عشرين عاماً أو تزيد.

فيروز: حاشا لله أن أسوي بينكما.

الأسود: أينا الأفضلُ يا فيروز؟؟

فيروز: إن هذا الأمر لا يحتاج إلى سؤال.

الأسود: قُلها صريحة ولا تخف

فيروز: الأفضل من آمنا به، وربطنا مصيرنا بمصيره، وأنت كنبي لا تَخْفى عليك الحقائق.. والوحي يأتيك.. فكيف نتشكك فيك، وأنت أعلم بما بآيتنا وبآيتك..

[الأسود يقهقه، ثم يقف ويقترب من فيروز، فيهب الجميع واقفين]

الأسود: (وهو يضع يده على كتف فيروز)

يقول عنك محمد أنك الرجل الصالح.. لكن ألم تفكر في معنى الصلاح؟؟

[فيروز إليه مستفسراً دون أن ينطق]

الأسود: حسناً.. الصلاح هو التعقل والطاعة، هو الرضى بما هو قائم عن إيمان وقناعة، والرضا بالقضاء ونسيان ما مضى، والتبتل والعبادة، حسبما تمليه أوامر القيادة.. هل فهمت يا فيروز.

فيروز: بالتأكيد فهمت.

[يلتفت الأسود نحو داذويه الواقف إلى جوار فيروز ويقول له]

الأسود: وأنت يا داذويه

داذويه: مقر بما قال فيروز

الأسود: لهذا اخترتكما وزيرَيْن لي، والأسباب لا تَخْفى عليكما!! أنكما تمثلان شريحة كبيرة من الناس وهم الفرس الذين يعيشون بيننا ثم أنكما تحظيان بحب الناس، وتفهموا طبائعهم ولديكما الخبرة الطويلة في الحكم والدهاء، ثم إنكما آمنتما بي دون مِراءٍ. وتركتما دين محمد واعتنقتما ديني، وهذه فضيلة لا أنساها لكما، فقد تبعكما خلق كثير..

[ثم يغير سحنته ولهجته يقول في تهديد صائحاً]

ويا ويل من يَغْدُرُ أو يخون.. لأن خيانةَ الوزراء أكبر الكبائر

[ثم يلتفت إلى قيس بن عبد يغوث ويقول]:

الأسود: لكنّ خيانة قائد الجند أبشعُ وأفدحُ

قيس: مولاي..

الأسود: (وهو يقبض على يد قيس)

اصمت.. أعرف أنك حاربت معي منذ البداية، وأنك متفق معي في الرأي.. وأسبق منهما في الإخلاص والولاء.. لكنَّ جشعَ الإنسانِ قد يجرُّه إلى البلاء أنتم الثلاثة صحابتي، فيكم مشورتي، ومجلس قيادتي. لقد ضمنت مليكتي «آزاد» فيروز ابن عمها وداذويه، أما ضامنك أنت يا قيس فهو ماضيك المشرف معي وفكرك الثاقب الألمعي.

[يدخل أشهب بن ذؤيب ومعه اثنان من الخدم يحملان الفواكه وأكواب الشراب وبعض الحلوى]

الأسود: كلوا واستمتعوا بخيرات صنعاء ونجران، وأرضي الواسعة المليئة بالجنان.. ألا إن جنة الدنيا مُقدِّمة لجنة الآخرة.

[الأسود يمسك بتفاحة ويقضمها في غلظة، ويقول]:

الأسود: لقد أوتيت النصر لأسباب أربعة:

عقلي وما تميز به من سعة

وسيفي ذو الضربات المروعة

والوحي الذي ينبثق من داخلي أو أسمعه

ثم أولئك الجَوْعى والمحرومون الذين يخوضون المَغْمَعة.

الثلاثة (في صوت واحد): أصبت وأجدت..

قيس: وأوْجَزتَ وأبَنْتَ

[الأسود يهمهم ويطلق البخور ويقول]:

الأسود: شقيق، سحيق أيها الملكان الحبيبان.. تكلما..
قولا لهم أن هذا ليس كلامي، ولكنه من الوحي..

[تسود فترة صمت، بينما يهتز جسد الأسود كالمصروع ويهتف قائلاً]:

الأسود: سيكون سيكون.. أمركما مطاع..
كُفَّا عن الجدل،
سيأتونني برأسه ولو لاذ بكهف بالجبل،
ولن ينفع تدبيرُ أو حِيَل.

[ثم يفتح عينيه ويسددهما صوب فيروز ويقول]:

الأسود: أتدري عمن يتحدث الوحي يا فيروز؟؟

فيروز الديلمي: الله ورسوله أعلم..

الأسود: إنه معاذ بن جبل
الإمام والمعلم الأول الذي يجوب البلاد
ويحمل رسائل محمد إلى الخونة من العباد

وَيَشُقُّ علينا عصى الطاعة

ويتوهم أنه منا بمناعة

[ثم يشير بأصبعه نحو فيروز قائلاً]:

الأسود: أنت الذي ستأتيني برأسه

هكذا أمر صاحب الوحي بنفسه

وَحَذَارِ أن تتعللوا بواهي الأسباب

فلا مرد لما جاء عندي في الكتاب

فيروز: (في شيءٍ من الهَلَع)

لقد هرب من صنعاء يا مولاي، ونزل مَأْرِب، ثم وصل إلى حضرموت، وتزوج من قبيلة من حي بكرة «السكون» هناك من امرأة تدعى «رملة» أحبَّها وأحبَّتْهُ وأصبحوا يحمونه مما يحمون منه أبناءهم ونساءهم.. فكيف الوصول إليه؟؟

الأسود: بالمكيدة والدهاء، يا فيروز (يغمز) ما دام قد وقع في غرام النساء، فمن السهل الفتك به في الخفاء..

فيروز: دون ذلك أهوال، ولن تمسك به إلا إذا حاربنا حضرموت وقهرناها.

الأسود: (ساخراً) بالتأكيد سوف يحدث هذا

لكن قل لي بربك ثم ماذا؟

أترى معاذ ينتظرنا هناك

أم أنه سيهرب مثلما فعل قبل ذاك؟

قيس: (في ثقة) لتطمئن أيُّها النبيُّ العظيم
لأني في مثل هذه الأمور خبيرٌ عليم

[يقهقه الأسود ويقول]:

الأسود: الوحي جاء بمثل عبارتك تلك

قيس: أحمدُ الله

داذويه: سنفعل المستحيل من أجل تحقيق رغبتك، وإنقاذ مشيئتك..

[الأسود يَدُقُّ الأرض بقدمه ويصرخ]

الأسود: ليست رغبتي يا داذويه، ولكنها مشيئة الله

فيروز: ما لا تحققه السيوف والرجال
يحققه الدهاء وبذل الأموال
وجواسيسنا يخترقون القلاع والحصون
ولا يقف في طريقهم حاقد أو خئون

الأسود: أرسلوا إليه جارية غانية

في طرفها حورٌ، وقطوفها دانية
يفوح عبيرُها فيسكر القلوب
لها نعومة الأفعى، ومكر الثعلوب

[داذويه (يضحك)]

الأسود: فيم الضحك؟؟ إن كلام الوحي لا يعاب
مهما بدا مغرقاً في الإعراب
وما قيمة الوحي إذا لم يأتِ بالجديد
وينشر بين الناس الوعدَ والوعيد

داذويه: لم أقصد ذلك يا مولاي.. لقد تصورتُ معاذ بن جبل وهو بين يديها.. أنه أمر مثير.

الأسود: تعلمها مني يا داذويه.. وأبلغها لمن شئت من أصحابك عندما يتحرر الإنسان من الخوف، يمكنه أن يحقق المعجزات.

داذويه: نعم الرأي أيها الملِك..

الأسود: (صارخاً): بل قل أيها النبيّ..

داذويه: (بصوت خفيض): أيها النبيّ

الأسود: بل قل أيها الملِك النبيّ

داذويه: الملِك النبيّ..

الأسود: نعم.. النبوة وحدها لا تكفي، ولا تتحرك من تلقاء نفسها خطوات خارج مكانها.. أما القوة أو الملك.. فهو الوسيلة التي تجعل من الرسالة والوحي حقيقة.. هل تفهمني؟؟ لا نبوة بدون ملك وسلطان، والملك يكتسب قوته وهيبته من المبادىء.. أي مبادىء حتى ولو كانت زائغة ومعها السيوف، السلطة هي السيف.. والنبوة هي المبادىء.. وأنا صاحب الفضل في جمع الاثنتين في قبضتي هذه لم يفعلها قبلي إلا داود وسليمان..

فيروز: أوه مولاي.. أنت تعرف جيداً قصص الأولين

الأسود: (يقهقه) إنَّ لديَّ من القصص ما يفوق ما لدى محمد: والآن دعونا من ذلك.. إنَّ جيوشَنا يجب أن تتحرك على الفور لإخضاع باقي القبائل.. الفراغ يفسد الجنود.. ويدفعهم إلى التفكير المنحرف.. لن يمرَّ يومان حتى..

[يأتي أشهب بن ذُؤيب مهرولاً، وينقض على أذن الأسود هامساً]

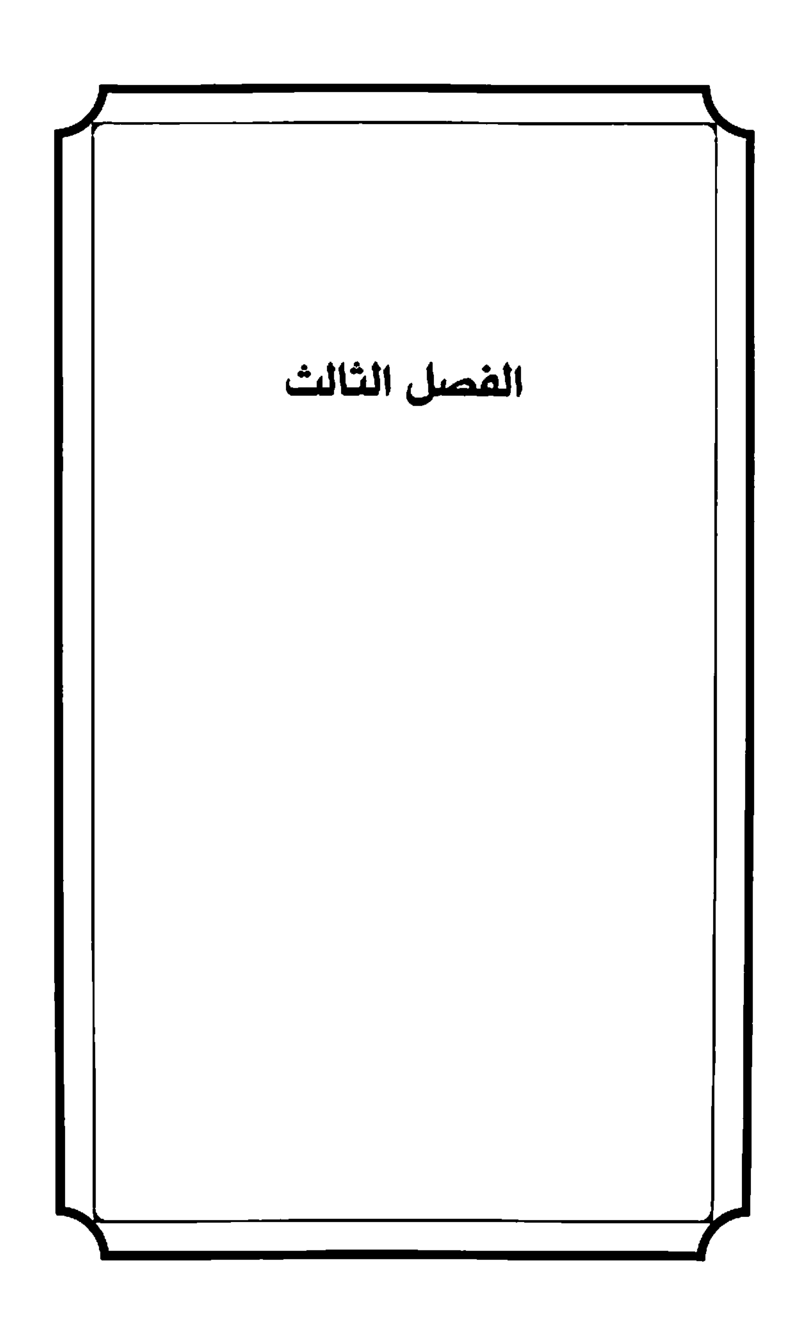
[يبدو الاهتمام على وجه الأسود، وتشرق الفرحة في وجهه. يهُمُّ واقفاً دون إبطاء.. وهو يقول في شيء من العجلة].

الأسود: الملكة تستدعيني لأمر جلل.. لا بدَّ أن ألبِّي وسنلتقي غداً..

[يرقص الأسود ويغمز بعينيه ويغني]

الأسود: لبيك لبيك عبهلة.. لبيك لبيك عبهلة.. لبيك يا آزاد يا أنشودةَ الحبِّ في جحيم الحرب.





الفصل الثالث

المشهد الأول

[الأسود في قصره وحوله حراسه وخاصته يبدو عليه القلق والاضطراب ويروح ويجيء صامتاً]

الأسود: (ملوحاً بسيفه): ها قد امتدَّ ملكي من حضرموت إلى الطائفِ إلى البحرين

أشهب: وغداً نصِلُ إلى مكة ويثرب.

الأسود: (يصرخ في حدة): كيف؟ المؤامراتُ من حولي والرجال الذين وثقت بهم يخونونني، قيس، فيروز، داذويه

أشهب: سل حامل الوحي.

الأسود: (في غضب): إنه لا يعرف.. وهذه كارثة

أشهب: هل انحاز الوحي لأعدائك

الأسود: (يدفعه في غلظة): أيُّها الأبله.. الوحي لا يخبر

بكل شيء إنني أعرف أكثر مما يعرفُ الوحي

أشهب: فلماذا تُعوِّلُ عليه

الأسود: الضرورات تدفعني لذلك.. لزوم الشيء يا غبي

[يدخل مقلقل بن الأسود]

مقلقل: أبي ومليكي ونبيي. قائد الجيش قيس بن يغوث يريد المثول بين يديك

الأسود: (وقد استشاط غضباً): أدخله دون إبطاء هذا الملعون المشؤوم.

[قيس يدخل منحنياً]

الأسود: (ملوحاً بسيفه) يا قيس بن يغوث.. لقد قال لي شيطاني «ألا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك».

قيس: إنه ليس من الحق أن أهلك وأنت رسول الله، فمرني بما أحببت أو اقتلني.. فموتةٌ أهون من موتات.

الأسود: يا للحيرة.. جواسيسي يؤكدون وأنت تنفي وشيطاني يقول وأنت تنكر.. ماذا أفعل بك..؟

قيس: إما إدانة وأنا بريء.. وإما عفوٌ وأنا لم أرتكبْ

وِزراً وليس لديك الدليل.

الأسود: اذهب... وعيني عليك.. وملائكتي ترصدك..
لقد كنت مخلصاً لي منذ البداية..
وخضت المعارك بشجاعة وأنت جدير بالعفو

قيس: بوركت يا أبا مقلقل

[يخرج قيس]

[يدخل مقلقل]

مقلقل: قدم فيروز الديلمي

الأسود: الرجل الطالح.. فليدخل

[يدخل فيروز]

الأسود: تدخل بيتي دون إذن ـ لولا شفاعة آزاد وقسمها بأنك رضعت عليها لقتلتك.

فيروز: نحن عِلْيَةُ القوم، والحكام السابقون، آزرناك وآمنا بك.. ولم ندَّخِرْ وسعاً في عونك.

الأسود: أهو الخوف أم النفاق أو الدهاء

فيروز: نحن رجال أوفياء شجعان لا نخون ولا نغدر إلا إذا بادرنا الآخرون بالعدوان.

الأسود: كلمات حكيمة معقولة.. ومقبولة.. ولولا الحبيبة آزاد لكنت الآن في عداد الموتى.

فيروز: عهد علينا ألا ترى منا إلا ما هو حقٌّ وصدق.

الأسود: لست أدري لماذا أحبك محمد وسماك الرجل الصالح.

فيروز: وهل رأيت فيَّ غير ذلك؟

الأسود: إنني في حيرةٍ من أمري.. كثرت الأحداث واتسع الملك، وكثرت المؤامرات وعرفت الأرق لأول مرة في حياتي أصبحت أشك.. أشك في كل من حولي حتى ضاقت نفسي.. وأكاد أضرب أعناق كل من حولي..

لكن كيف أعيش بلا رجال ينصرونني وأنصرهم؟

فيروز: أيُّها الملك النبي.. انفض عنك وساوسك واقهر مخاوفك، فقد عهدتك شجاعاً لا تثق إلا بنفسك وسيفك فأنت أقوى من شيطانك، وأقوى من الوحي.

الأسود: (يبتسم في سعادة): ها قد أمسكت بلُبِّ الحقيقة

فيروز: هذا عين العقل.

الأسود: اذهب فأنت آمن على نفسك وذويك ومالك لكن الفضل كل الفضل يرجع إلى الحبيبة آزاد ملكة الدنيا والآخرة.. لقد تشفعت لك وكفى إنَّ رغبتّها أمر.

[يخرج فيروز]

[يدخل مقلقل]

مقلقل: أبتي.. جاء داذويه.

الأسود: (ساخراً): المصائب لا تأتي فرادى.. فليدخل..

[يخرج مقلقل، ثم يدخل داذويه]

داذويه: السلام على نبي السلام

الأسود: (يقهقه ثم يشرب كأساً من الخمر): أتهزأ بي يا داذويه؟ أنا نبي السيف والحرب، والحرب والسلام لا يجتمعان

داذويه: بل يجتمعان عندك.. فأنت تحارب من أجل أن يسود السلام

الأسود: أنا رجل حرب.. فإذا عم السلام حانت نهايتي

داذويه: طريق السلام محفوف بالدماء

الأسود: لو دانت لي بلاد العرب كلها لخرجت إلى الدنيا أبحث عن معارك جديدة.. إن الجنة التي أتخيلها لا تقوم إلا بين ألسنة اللهب وتحت ظلالِ السيوف.

داذويه: إن ما يقوله النبي الملك هو الصحيح

الأسود: (يسدد إليه نظرات ثاقبة): إنكم تتوسلون بالتَّقِيَّة لِخداعي

داذويه: ليس هذا حقاً.

الأسود: إذن فأخبرني أين يختبىء «وبر بن يخنس» مبعوث محمد إلى أهل اليمن، لقد علمت من عيوني أنه جاء برسالة من محمد ليؤلب الناس ضدي، وأنه موجود في أرض اليمن يقرأ على الناس كلام محمد

داذويه: لو صح ذلك لانكشف أمره، فلا بد أن يأتي أحد ليشيَ به.

الأسود: هل حديث «وبر بن يخنس» محض افتراء

داذويه: إنها حرب من نوع خبيث، فالأعداء يروجون الأكاذيب، وينسجون الخرافات بينما «وبر بن يخنس» يعيش في يثربَ وسط أهله وذويه.

الأسود: وأبو موسى الأشعري

داذويه: نعم إنّه فعلاً يحرض الناس لكنه بعيد عنا ولا يمكننا الإمساك به.

الأسود: ومعاذ بن جبل.

داذويه: ذو فكر ثاقب، ولا يكف عن الحركة، ولكن قبيلة بكرة تحميه

الأسود: داذويه

داذويه: أمر مليكي ونبيي

الأسود: لو كنت مخلصاً حقاً لنفذت ما آمرك به

داذويه: السمع والطاعة

الأسود: أرصد الجوائز الثمينة، وابعث بالرجال الأشداء وافعل كل ما تستطيعه لتعقب معاذ وأبي موسى الأشعري ووبر بن يخنس

داذويه: سأفعل ذلك اليوم قبل الغد

الأسود: عندئذٍ تستعيد ثقتي كاملة

داذويه: ثقتك أثمنُ ما أعتزُّ به

الأسود: بُورِكتَ يا شِبْلَ فارس

[يمسك الأسود بيد داذويه، ويحاول أن يراقصهُ ويقول]:

غنِّ معي: إنّا أتيناك عبهلة

يشدنا الشوقُ والولهْ

[ثم يزأر كما يزأر الأسد الجائع].



المشهد الثاني

[مجلس الأسود ـ معه ابنه مقلقل وبعض الحراس ـ أمامه بعض الفواكه، وإناء من الخمر. يتجرع الأسود كأساً من الخمر دفعةً واحدة]

الأسود: (في غضب): الحقد الأسود يملأ النفوس، وأنا لن أرحم خائناً أو طامعاً.

مقلقل: لقد دانت لنا الأرض يا أبتي، ولن تستطيع قوة في الأرض أن تقهرَنا

الأسود: هل سمعت عما فعله نصارى نجران

مقلقل: ماذا فعلوا؟

الأسود: تحت أمرتهم أربعون ألف مقاتل، وعاهدوا محمداً على ألا ينحازوا إليَّ.. إنهم قوة جبارة يا مقلقل.

مقلقل: سنبيدهم كما فعلنا بغيرهم من قبل.

الأسود: (وهو يدق الأرض ثائراً) لماذا يناصبني أهل الكتاب العداء، ما معنى ذلك.

مقلقل: يريدون: أن يأمنوك ويأمنوا محمداً.

الأسود: (وهو يلوح بسيفه): المعارك الكبرى لا تعرف الحِيَاد «لا بد أن تنحاز لجانب» هذه المواقف المائعة تخنقني، وتجعل الدم يغلي في عروقي.

مقلقل: إن نصارى نجران وأهل الكتاب لا وزن لهم ولا قيمة.

الأسود: يزعمون أننا سنندحر

مقلقل: الوقائع تكذبهم يا أبتي.

[تحدث دمدمة ويُظْلِمُ المسرح، يهبط الشيطانان شقيق وسحيق، أحدهما على يمين الأسود والآخر على يساره ـ يصرخ الأسود]

الأسود: أخرج يا مقلقل وليخرج معك الحراس هذا وقت الوحي

سحيق: (يقهقه) أتخاف أيها الملك النبي من أهلِ

الكتاب، لقد أخضعهم محمد لسلطانه

شقيق: (يتراقص أمامه): تركهم على دينهم إلى حين وغداً سيبطش بهم.

سحيق: وأجدر بك أن تسرع بالقضاء عليهم.

شقيق: لم يؤمنوا بك، ولذا أهدر دمهم.

الأسود: ولماذا لا نأخذهم بالحيلة والدهاء؟

سحيق وشقيق: (في صوت واحد): لقد تحددت المواقف، ولا مجال للتراجع، اضرب ضربتك.

الأسود: من أين لي بالقوة الكافية.

سحيق: ألست نبياً؟

شقيق: والآلهة تنصر الأنبياء

الأسود: (في ذهول): أتعتقدان أن نبوتي ليست محل شك أو شبهة؟

شقيق: الدليل على صدقك ما حققته من انتصارات مذهلة

سحيق: وعشرات الألوف الذين بايعوك

شقيق: (مقهقهاً) وآزاد الجميلة التي استسلمت لك.

سحيق: والغنائم التي تملأ الوادي

شقيق: والقبائل التي ركعت تحت قدميك.

سحيق: ورجال محمد الذين لاذوا بالفرار، وضلُّوا في الفيافي والقفار

[فترة صمت يقول الأسود بعدها]

الأسود: أجل.. أجل.. أنا النبي المرسَل.. قالت لي السماءُ أنت مبعوثُنا يا ذا الخمار.. فافعل ما تشاء، وأنت الملكُ الجبار.

[يدور يميناً ويساراً ويستطرد]

الأسود: أمر السماء وحده لا يكفي لأن تكون نبياً، لا بد أن تكون كفأً لذلك.. بل لعل الكفاءة هي التي تُمَهِّد الطريق إلى النبوة..

شقيق: يا ذا الخمار.. يا نبي الله.. الأنبياء لا يتراجعون أو يخافون.. إنهم ليسوا كالبشر.

سحيق: فلتمشي في طريقك، ولتضرب بسيفك فليس لمعاركك نهاية إلا بالنصر الكامل.

شقيق: اقتل من وقع في يدك من نصارى نَجران.

سحيق: واسفك دم أي كتابي

شقيق: ولا ترحم يهودياً أو حبشياً أو مجوسياً

سحيق: ولا مسلماً.

شقيق: طهِّرْ الأرض من كل إنسانٍ لا يؤمن بك.

[يتقدم الأسود خطواتٍ ثم يعود إلى مكانه ويشرب كأساً من الخمر.. ويتجشأ ثم يتناول حبة من الفاكهة ويحمشها؟ في ذهول].

الأسود: سوف يحتشد الأعداء ضدي من كل صوب

سحيق: (غناء) النصر لك
والمجد لك
يا عبهلة
يا صاحب المعارك المزلزلة

شقيق: أنت الذي تقدست منازلهُ
أنت الذي تباركت محافلُه
أنت المُرَجَّى والمَصُون عبهلة

الأسود: (وهو يرقص والكأس في يده)

أنا المُرَجّى عبهلة

أنا المصُوْن عبهلَة

أقوى من الرعود المرسَلة

أنا الخلودُ والجنونُ والولَهْ

تَخْضَرُّ لي الأراضي المقحلةْ

دانت لي الحياةُ شاملة

[يلتفت حوله فلا يجد أحداً ـ يشعر بشيء من الخوف الذي يظهر في نظراته وحركاته]

الأسود: (يصرخ) مقلقل.. مقلقل.. أقبلْ أيها اللعينُ ولا تتركني وحدي

مقلقل: لبيك يا أبتي.. أنا طوعُ أمرك

الأسود: أين الحُرّاس؟ أريدهم حولي.. المؤامرات تحاك ضدي.. ولا بد أن أعيش.. أتفهم أني أكره الموت كما أكره الهزيمة.

مقلقل: الحراس على أثري.

الأسود: (يجر ولده مقلقل ويجذبه إليه): قلْ يا فتى هل يستطيع الموت أن يهزمني

مقلقل: الأنبياء لا يموتون

الأسود: بل يموتون أيُها الأبله

مقلقل: أعني أن كلماتهم ومباءهم تبقى أبدَ الدهر

الأسود: اللعنة على الكلمات والمبادىء.. فليذهب كلُّ شيء إلى الجحيم.. المهم أن أبقى أنا..

[يصمت ويدور بنظراته المجنونة هنا وهناك]

الأسود: (يستطرد): هناك حلٌ واحد للانتصار على الموت.

مقلقل: (في تشوق) ما هو يا أبتي؟

الأسود: (والفرح الساذج على قسماته): أن أصبح إلهاً.

مقلقل: إله؟

الأسود: ولم لا؟ لقد صنعتُ النبوةَ، فلم لا أصنعُ الألوهيةَ.. هل تعتقد أيُها الغبيُّ أن الله أقوى مني!؟ إذا كان الله هو الأقوى فلينزل إليّ.. (ويلوح بسيفه).. وليبارزني.

مقلقل: (مرتجفاً): أبتي.. معذرة.. لقد أفرطتَ في الشراب.

الأسود: (يرفع سيفه في غضب): أتظنني أخرف أو أهذي..

لو قلتها مرة ثانية لفصلت رأسك عن جسدك.

مقلقل: (محنياً رأسه): السمع والطاعة يا رحمان اليمن.

الأسود: بل رحمان الدنيا كلِّها.

[يدخل أحد الحراس]

الحارس: اليهودي هارون وابنُه يعقوب.

الأسود: (يبتسم).. آه.. هذا الجاسوس اللعين يسعى بظَلْفِه إلى حَتْفِه.. أيظن أن خدعته ستنطلي علينا؟ إنني على استعداد لأن أصفح.. نعم صفحت عن فيروز وداذويه وقيس.. لكنني لن أصفح عن جاسوس.

الأسود: (يصرخ) أَدخلوا هارون زحفاً على يديه وركبتيه.

[بعد لحظات يدخل هارون وولده يعقوب وهما يحبوان على الأرض]

الأسود: (يقهقه في سعادة): قَبِّلْ أقدام النبي.

هارون: (وهو يشب): إننا نتقرب إلى الله بتقبيل أقدام وأعتاب النبي

الأسود: لكن قومك تنكروا لنا يا هارون القميء

هارون: لا تصدق أكاذيب الرواة.

الأسود: ولماذا لم يأتوا كما زعمت ليعلنوا إيمانهم بي؟

[هارون يحاول أن ينهض]

هارون: إنهم

الأسود: (يصرخ فيه ويقاطعه) لا ترفع رأسك.. ولتبق كما أنت..

هارون: أمرك يا مليكَ الزمان ونبيَّ الأنام.

الأسود: تكلم

هارون: قومي بين نارين.. محمد يطاردهم، ولو قدموا إليك لقضي على بقيتهم.. إنهم ينتظرون اللحظة المناسبة حتى يأتوا إليك خاضعين خاشعين.

الأسود: بل مؤمنين.. فلا قيمة للخضوع والخشوع بغير إيمان.

هارون: مؤمنين

الأسود: هل أنا الأفضل أم موسى نبي بني إسرائيل؟

هارون: أنت من ذريته

الأسود: كذبت.. فأنا خبير بالأنساب.. وأنت لم تجب على سؤالي

هارون: أنت مذكور في التوراة

الأسود: (ساخراً): ماذا تقول التوراة عني؟

هارون: تقول التوراة «سيأتي نبي من العرب: أسود الوجه.. أبيض القلب، يلبس الخمار ويصبح نبياً ملكاً كسليمان وداود وستدين له الأرضُ.. عندئذٍ يفرح بنو إسرائيل، وينضوون تحت لوائه وتمتلىء الأرض عدلاً ورخاءً.. ويدخل بيت المقدس».

[يشرب كأساً أخرى ويكاد يستلقي على قفاه من الضحك]

الأسود: في أي مكان من التوراة هذا الكلام؟

هارون: لو رددتني إلى قومي لسرقت منهم نسخة من التوراة وأطلعتك عليها

الأسود: لن ترى أهلك مرة أخرى

هارون: (في دهشة) كيف؟

الأسود: الجواسيس لا يرجعون بل يبقون معنا

هارون: (يحاول أن يرفع رأسه) لم آتِ لأتجسس عليك بل للإيمان بأعظم نبي

الأسود: (وهو يخفض رأس هارون بقدمه): أردتم أن تضربوا محمداً بي، وتضربوني بمحمد.. إن يهود لا يفكرون إلا في مصالحهم.

هارون: أنا لا أخاف الموت على يديك، لأنه طريق إلى الجنة وإلى الخلود.. وهل لي أن أطمعَ في مِيتَةٍ أعظم من هذه؟

الأسود: (يقهقه): إنك يا ملعون ترمي بآخر سهم في جعبتك.

هارون: مولاي الملك النبي.. كفرتُ باليهوديةِ وبمحمدٍ وآمنتُ بك.. وليس هناك دليل واحد يدفعني للخيانة.

الأسود: (ساخراً) عندما تكون يهودياً فلن تحتاج إلى دليل إدانة

هارون: إن محمداً لم يفعل بنا ذلك.. عاقب المخطئين منا وترك البقية. وما زالوا يعيشون في أماكنهم

يؤدون شعائرهم.

الأسود: ها أنت تفضل محمداً علي.. يا له من إيمانٍ عميق

هارون: بل أنشُد العفوَ والرحمةَ منك يا خير الأنبياء لقد أتيناك عبهلة وأنت أسمى منزلة.

الأسود: كفى.

هارون: (يهمس): وأنت أسمى منزلة

[تسود فترة صمت. يتنفس الأسود الصعداء ثم يلتفت إلى ابنه مقلقل في برود]

الأسود: اضربوا عنق هذا الرجل وابعثوا برأسه مع ابنه إلى يهود ليعرفوا ماذا ينتظرون مني.. اقتلوا كلَّ كتابي.. وكلَّ حبشي.. وكلَّ مسلم وكلَّ مجوسي.. اقتلوهم اقتلوهم لا تبقوا على أحد.

[الحراس يجرون هارون من رجليه ومعه ابنه ويأخذونهما إلى الخارج]

[يسود الصمت لحظة، ويسمع صراخ هارون بلكنته اليهودية المعروفة.. كما يسمع صراخ ابنه.. ثم يسود الصمت مرة أخرى]..

[يدخل مقلقل]

مقلقل: قضينا عليهما.

الأسود: ما أروعَ أن تملكَ مصائرَ الناس.. تقتل من تشاء.. وتحيي من تشاء.. هذه خطوة في الطريق إلى الألوهية

مقلقل: أبتي.

الأسود: كف عن اعتراضك وإلا قتلتك.

[تدخل كوكبة من الرجال والفتيان يرددون ضراعات عبهلة التي ذكر بعضها في الفصل الأول وبعد أن ينتهي الغناء يقول الأسود]:

الأسود: املأ الأرضَ بالنشيدْ
إن ذا الخمار لن يبيدْ
قلبُه من حجرْ
سيفُه من حديدْ
لا يهابُ الرّدىٰ
فهو رَهْنُ الخلودْ
أنا رَهْنُ الخلودْ
أنا رَهنُ الخلودْ

المشهد الثالث

[غرفة نوم الأسود ـ تكسو حيطانها الستائر الحريرية ـ وبها بعض قطع الأثاث الفاخر ـ مائدة عليها الفواكه والخمر ومستلزماتها ـ بعض بقايا طعام ـ سيوف وخناجر ودروع معلقة في ناحية من نواحي الغرفة]

[يدخل الأسود وهو يتطوح يمنة ويسرة، وأمام وخلف لشدة السكر، ويتحدث بلكنة السكران]

الأسود: آزاد.. آزاد أيتها الحبيبة

آزاد.. لماذا لا تجيبين؟ أين أنت يا ملكة القلب والجنان

[يدخل أحد الحراس]

الحارس: مولاي.. إنها تستعد.

الأسود: أخرج أيها الملعون.. من الذي سمح لك بالدخول إلى الجنة

الحارس: لأخبرك أن مولاتي آزاد قادمة

[يسقط الأسود إعياء والنوم يغالبه]

الأسود: أنا لم أسقط.. لكني.. لكني (يتثاءب) آه.. رأسي ثقيل.. ثقيل.. لقد أكثرت من الشراب لأرضي الحبيبة آزاد.. لكني سأنتعش عندما تأتيني بجمالها الفائق وتصب لي الماء البارد على رأسي هذه ليلة أنس خالدة.

[ثم يلتفت إلى الحارس بإعياء]

الأسود: اخرج وادع آزاد على الفور

[يخرج الحارس]

[يظهر الوزير فيروز فجأة من وراء الستار ـ الأسود يشعر بدخوله ـ يفتح الأسود عينيه وينظر إليه بدهشة]

الأسود: من؟ فيروز: أي شيطان أتى بك في هذا الوقت المتأخر من الليل.. قطعاً سوف تزعم أنك أتيت لزيارة ابنة عمك آزاد أليس هذا شيئاً مضحكاً؟ (ويقهقه)

فيروز: بل جئتُ من أجلك

الأسود: وماذا جرى؟

فيروز: أمور يجب أن نحسمها

الأسود: في هذا الوقت بالذات؟

فيروز: لأنها لا تحتمل التأجيل

[يتنبه الأسود قليلاً ثم يقول]

الأسود: لكن كيف دخلتَ من هذا الجانب المغلق

فيروز: (ساخراً): لم نستطع أن ندخل من باب القصر

الأسود: لماذا؟

فيروز: منعنا الحراس، ولهذا فتحنا ثغرة في هذا الجدار

[ويشير بيده إلى الفتحة المغطاة بستارة تتماوج]

الأسود: (يقف مشدوهاً) هذا جنون.. كيف تجرؤ على فعلك؟

[يثب قيس بن يغوث قائد الجيش من ناحية الثغرة ثم يزيح الستار]

قيس: التحيات للنبي المعصوم، والملك العظيم

الأسود: (وهو يهز برأسه كأنما يطرد السكر) وأنت أيضاً يا قيس

قيس: الأمر عاجل..

[يقاطعه الأسود]

الأسود: إنني لا أفهم.

قيس: ألم يوح إليك أننا قادمون

الأسود: أعرف أنكم قادمون؟ لكن ليس على هذا النحو

قيس: إننا خاصتك وقادة جيشك وملكك، وليس بيننا وبينك حجاب

[يصرخ الأسود مستغيثاً]

الأسود: آزاد.. زوجتي.. أيها الحراس.. أين أنتم.. أخرجوا هذين الشقيين.

[ما يكاد يهم بالتحرك حتى يفاجأ بالوزير داذويه يقفز هو الآخر من الكوة ويزيح الستار وينضم إلى صديقيه فيروز وقيس]

داذويه: بل أصبحنا ثلاثة

الأسود: أنت الآخر.. ما هذا؟

فيروز: هذا موعدنا الأخير معك

[الأسود ينتفض غضباً]

الأسود: إني أشمُّ رائحة الغدر

فيروز: نحن خاصتك ورجالك المخلصون

الأسود: لقد غاب الإخلاص مع غياب القمر

فيروز: القمرُ يدور

داذويه: والأيامُ تدور

قيس: والأفلاكُ تدور

[يفيق الأسود أكثر ويقفز ويختطف سيفه المعلّق على الحائط، ثم يقف متنمراً]

الأسود: إنني أحسم كلَّ شيء بسيفي

فيروز: السيف هو الحل الأخير

الأسود: ماذا تقصد يا فيروز؟

فيروز: ألست نبياً وتنطق بالحكمة

الأسود: إنني أستشعر في كلماتك نبرة السخرية

فيروز: وكيف أسخر من رحمان اليمن

[الأسود يضرب الأرض بسيفه نافد الصبر]

الأسود: أفصحوا عما تريدونْ

فيروز: سلْ الذي يُوحي إليك

الأسود: ليس هذا وقت الوحي أيُّها الأشقياء

[ثم يصرخ]

الأسود: آزاد.. الحراس.. أين أنتم؟؟

[تقفز مجموعة أخرى من الرجال المسلحين عبر الكوة، ويزيحون الستار، وينتشرون في أنحاء الغرفة]

الأسود: (وهو يتلفت يمنة ويسرة): تريدون قتلي إذن

فيروز: وهل يتخلى الله عن أنبيائه يا عبهلة؟

الأسود: (في ثقة مصطنعة): بالطبع لا.. الأنبياء ينتصرون دائماً.. وحتى بعد موتهم ينتصرون، ذلك لأن مبادئهم تعيشُ دائماً.

قيس: إن مبدءك السيف، والسيف قد يفل.

الأسود: (وهو يسدد نظراته هنا وهناك): إنها الخيانة. تريدون قتلي إذن.. حسناً فلتفعلوا وستجدون أنكم لن تخرجوا من قصري سالمين.. ستلقون نفس المصير.. إذا أنا مت فستموتون

قيس: وإذا نجوت .

الأسود: تنجون

قيس: وما هو الضمان

الأسود: ألم أعفُ عنك من قبل

قيس: ما كل مرة تسلم الجرّة

الأسود: لكن النبيَّ لا يكذب، وإذا وعد لا يخلف

[فترة صمت]

إذا كانت لكم مطالب محددة فأنا كفيل بإنجازها، البلادُ طَوْعُ أمري، والجنود يدينون لي بالطاعة ويكتسحون في طريقهم حُشود الأعداء.

[يتقدم فيروز]

فيروز: لقد أرقت الدماء دون تمييز

الأسود: إنها الحرب يا فيروز

فيروز: وقتلتَ شهر بن باذان حاكمنا السابق

الأسود: وماذا يفعل المنتصر؟ أيضع التاج على رأس عدوه؟

فيروز: وسبيت آزاد الطاهرة وهي زوجة مَلك

الأسود: هكذا يفعل المنتصرون في كل مكان أيُّها الحَمْقى

فيروز: وادَّعَيْتَ النبوة..

الأسود: (ينتفض غاضباً) ألا تؤمن بي يا فيروز؟

فيروز: فتنت المؤمنين فأظهروا الإيمانَ بك تقية

الأسود: لقد آمن بي خلق كثير دون أن أراهم.

فيروز: خدعت قوماً ما زالوا يعيشون في الجاهلية، وفتنت قوماً حديثي عهد بالإسلام، وأشعلت في النفوس النعرات القبلية والعصبيات العرقية، واستجبت لدسائس الفرس والروم الذين سخطوا على محمد رسول الله.

الأسود: (يصيح كالجريح): آزاد.. أيها الحراس.. أيها الأنصار.. إن خاصتي يحاكمونني، يتحرشون بي ليقتلوني.. آزاد.. آزاد.

فيروز (باسماً في سخرية): إن آزاد معنا، وهي تعرف الآن كلّ ما يجري.

الأسود: لا أصدق، أتخونني آزاد الحبيبة التي لم أحب أحداً في الدنيا كما أحببتها.

[بعض حراس الأسود يدقون الباب المغلق]

أحد الحراس: ماذا هناك.

صوت آخر: إن نبي الله يوحى إليه، انصرفوا ولا تزعجوه

[الأسود يحاول أن يتكلم فينقض عليه فيروز وداذويه وقيس وإخوانهم ويكتمون صوته حتى ينصرف الحراس خارج الباب]

فيروز: لن تنجو هذه المرّة يا عبهلة.

داذويه: ولن يجديك سجع الكهان نفعاً

قيس: ولا الأحجار الّتي تشعل فيها النار فتبعث بالأدخنة الصفراء والحمراء والخضراء.

فيروز: محمد ﷺ جاء بالقرآن وأنت يا ذا الخمارِ بماذا جئت؟

الأسود: جئت بالخبز والحرية والقوة التي لا تقهر.

فيروز: الخبز يأكله الناس من قديم الأزمان والحقب.

قيس: والقوة تروح وتجيء لأنها هبة من الله، وقد يفتن بها الله بعضَ المغرورين من عباده.

داذويه: والحرية التي تتحدث عنها هي الفوضى.

[يحاول الأسود العنسي أن يتحكم في قبضة سيفه، ويهم برفعه، فيشل المجتمعون حركته وينتزعون السيف منه عنوة

ويوثقونه بالحبال، ثم يتحلقون حوله وهو ملقى وسطهم، فينظر إليهم في ذلة ويقول]:

الأسود: إنْ تَقتُلُوني تُقتَلوا.. أؤكدها لكم مرة أخرى إن رجالي يحيطون بكم من كل جانب.

فيروز: هل تظن أننا نستطيع التراجع؟

الأسود: نعم إذا كان في التراجع حكمة ومنفعة

فيروز: إننا على الحق، وأنت كاذب.. والحق حَرِيٌّ بأن يُتَّبع.

[الأسود يصيح في استماتة]

الأسود: سحيق.. شقيق يا ملاكي الحبيبين.. أين أنتما.. إنها اللحظة التي أحتاج فيها إليكما.. لقد كنتما إلى جواري دائماً..

[يهبط على المسرح شبحا سحيق وشقيق شيطاني الأسود ولا يراهما غيره]

سحيق: ماذا تريد يا ذا الخمار

الأسود: النجاة

شقيق: (في الجانب الآخر) فات الأوان

الأسود: رافقتماني عمراً

شقيق وسحيق: (في صوت واحد) نحن تجسيد أحلامك السوداء، وأطماعك الشريرة

الأسود: لكنكما لم تقولا لي ذلك من قبل

سحيق وشقيق: الشياطين لا تحذر أحداً، بل تسول لك، وتدفعك إلى الشر.

الأسود: أكنتما أكذوبة

شقيق وسحيق: بل حقيقة مرة

الأسود: اختلطت لديَّ الحقائق بالأوهام الآن

شقيق وسحيق: بل كنت دائماً كذلك.

[فيروز والرجال يستمعون إلى هلوسات الأسود ولا يرون أو يسمعون الشيطانين]

فيروز: الكذابُ قد جن على أعتابِ الموت.

قيس: يجب أن نحسم الأمرَ بسرعة

داذويه: أوشك الفجرُ أن يبزغ ـ وغداً يجب أن يكون يوماً نقِيّاً طاهراً، ونفتح به عهداً جديداً في أرض اليمن التي ضرجها الأسودُ بالدماء.

[يتقدم فيروز بسيفه، بينما يمسك قيس وداذويه والآخرون برأس الأسود ثم يرفع فيروز السيف، ثم يهوي به دون أن يرى المشاهدون مشهد الذبح لشدة التزاحم حول الكذاب وتزاح الستائر، وينطلق صوت رخيم أخّاذ]:

الصوت: **الله أكبر. الله أكبر**

أشهد ألا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله

وأن عبهلة الكذاب عدو الله

وتضج الآفاق بالهتاف الله أكبر .الله أكبر .الله أكبر .الله أكبر.

ستار الختام